العنف الصهيوني وتمثلاته في قصص سناء الشعلان
قراءة في نماذج مختارة

م.د. علي خالد حامد حسين العميري
جامعة الشطرة / كلية التربية للبنات
ali.khalid@shu.edu.iq

الملخص :

يتناول هذا البحث جانباً من ممارسات الكيان الصهيوني بحق أبناء الشعب الفلسطيني، التي رصدتها الكاتبة سناء الشعلان في مختارات من منجزها القصصي ، ولا سيما ما تعرَّضت له المرأة الفلسطينية من عنف قامت به قوات الاحتلال ، والمتمثل بمنعها من التمتع بحقها في الحياة بكرامة وأمان ، والعمل على إذلالها ، وإجبارها على مغادرة وطنها . فضلاً عن ممارسة أبشع جرائم القتل والإقصاء بحق الفلسطينيين . ولم تسلم المرأة الإسرائيلية من سياسة العنف الذي شملها أيضاً، وقد تم إدخالها في اللعبة الاستعمارية ، بهدف تحقيق غايات المحتل الصهيوني والمتمثلة بقمع الشعب الفلسطيني ، وتعذيبه، وتهجيره . وقد تم دراسة ذلك عبر مبحثين هما: (المرأة الفلسطينية بين القمع والمقاومة، والمرأة الإسرائيلية بوصفها وسيلة لممارسة العنف) .

الكلمات المفتاحية : (العنف ، الصهاينة ، قصص ، سناء شعلان).

The Violence of Zionists and its Forms in Sana'a Al Sha'alan Stories
Review of a Number of Selected Stories

Dr. Ali Khalid Hamid Hussien Al- Omairi
Al- Shatra University – College of Education for Girls

Abstract:

This research paper endeavors to explain some of the Zionist Regime policies against the Palestinians as captured by the writer Sana'a Al Sha'alan in a number of her stories, particularly against Palestinian women and the violence they have seen at the hands of the occupation forces there. The occupation forces have long denied those women their basic rights to live in dignity, peace and safety and to humiliate and force

them to leave their own land and country. This kind of treatment has not targeted only the Palestinian women, but all the Palestinians regardless of age and gender. In addition to that, this study has found that the Israeli women have also been subject to the same violence by having them involved in the colonial policies to achieve the Zionist occupation objectives to suppress the Palestinians, torture them, and force them leave their own land. The study has two chapters:The Palestinian Woman Between Suppression and Resistance, and The Israeli Woman as a Means to Inflict Violence.

Key words: (Violence, Zionists, Stories, Sana'a Al Sha'alan).

توطئة :

يعود الأصل اللغوي للعنف إلى الفعل الثلاثي (عنف) ، الذي يدل على الشدة والمشقة ، وهو ضد الرفق ، وأعنف الشيء أخذه بشدة ، واعتنف الشيء كرهه[١]. أمَّا في المفهوم الاصطلاحي فله تعريفات متعددة ، وفي أغلبها تلتقي عند معنى اللجوء إلى القوة ، وممارسة الإكراه في التعامل مع الآخر سواء كان ذلك جسدياً أم نفسياً ، لذلك فالعنف ((هو كل أذى "مادي ، معنوي" يلحق بالأشخاص أو الهيئات أو الممتلكات))[٢]. وممارسة العنف لم تكن سلوكاً إنسانياً طارئاً على المجتمعات البشرية ، وإنَّما له جذوره الموغلة في عمق التاريخ ، فقد شهدت معظم الشعوب صراعات وحروباً مختلفة ، من أجل السيطرة على السلطة والمال والنفوذ وغيرها ، وقد امتد تأثيره إلى يومنا هذا ، حتى أصبح اللجوء إلى العنف في بعض الحالات مرتبطاً بغطاء أيديولوجي ، ويجري تحت تأثيرات اجتماعية وسياسية ودينية وثقافية . وممَّا لا شك فيه أنَّ أبشع صور العنف في وقتنا الحاضر تتجلَّى في ممارسات الاحتلال الصهيوني بحق أبناء الشعب الفلسطيني ، ولا سيما ما يقوم به من قتل وتعذيب وتهجير ، وقد تحمَّلت المرأة الفلسطينية العبء الأكبر في مواجهة المحتل ، فهي الثكلى الفاقدة ، وهي المعذبة المضطهدة ، وهي من ترعى الأطفال ، وتعيل الأسرة ، وهي من تقف مع الرجل في مقاومة الاحتلال . فضلاً عن ذلك فإنَّ المرأة الإسرائيلية لم تكن بعيدة عن سياسة العنف ، الذي شملها أيضاً ، وقد تم إدخالها في اللعبة الاستعمارية ، بهدف تحقيق غايات المحتل الصهيوني المتمثلة باضطهاد الشعب الفلسطيني .

المبحث الأول: المرأة الفلسطينية بين القمع والمقاومة :

إنَّ وطأة الواقع وتداعياته وإفرازاته المؤلمة بعد الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين في النصف الثاني من القرن الماضي كانت مؤلمة ، لذلك اندفع عدد من الكتاب نحو الاهتمام بالقضية الفلسطينية فكانت محوراً لإبداعاتهم الأدبية ، فحضور الآخر الفلسطيني في نصوصهم يعد أمراً طبيعياً لإيمانهم بأهمية القضية في وجدان الشعوب العربية ، وهو ما دفع الكُتَّاب إلى إعادة تشكيل الصورة الواقعية المؤلمة التي عاشها أبناء الشعب الفلسطيني عبر مخيلاتهم الأدبية ورؤاهم وتصوراتهم الفكرية ، فكانت القضية الفلسطينية ذات المساحة الكبرى في خارطة إبداعهم ، وتعد الكاتبة "سناء الشعلان" واحدة من بين المبدعين والمبدعات العرب الذين اهتموا بتصوير واقع الشعب الفلسطيني بحرقة ودافعية كبيرة، بفعل أصولها الفلسطينية من جهة ، ولكونها امرأة عربية ترأست العديد من المنظمات الإنسانية ومنظمات الإغاثة الدولية من جهة أخرى ، إذ جعلت من إبداعها السردي عدسة تصويرية لتوثيق واقع القضية الفلسطينية ، فعكست قطبين متلازمين هما الذات والآخر[٣]. وبما إنَّ الدراسة تبحث في مأساة المرأة الفلسطينية ، فقد تم تسليط الضوء على جوانب من ممارسات المحتل ، وما قام به من جرائم وقمع بحق أبناء الشعب الفلسطيني ، وما عمله في سبيل تهويد أرض فلسطين ، وتقطيع أوصالها ، وضمها إلى إسرائيل . لكن المرأة الفلسطينية لم تستسلم للواقع المؤلم ، وعملت على انتهاج طريق المقاومة ، ورفض الذل والهوان . فهي لم تكن تعيش في وضع الانزواء والانكفاء على الذات ، وإنَّما كانت وما زالت تتصدر واجهة الأحداث على مختلف المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية ، فكانت على وعي تام بما يحيط بلدها من أخطار ومؤامرات وتهديدات ، ووقفت بالمرصاد لكل المحاولات الاستعمارية ، لذلك فهي ((اصطلت بنار الوطن وحبه ، وشاركت إلى جنب الرجل في مناصرة القضية الوطنية ودعمها ، وأدت دوراً بارزاً ومشرفاً ، فالروح الثورية أقوى من كل الخيبات والانكسارات التي تعرَّض لها الفلسطينيون))[٤]. فأظهرت بسالة كبيرة وشجاعة فائقة وصبراً قلَّ نظيره في التاريخ ، وهذا الأمر إنما يدل على مدى إيمانها بحقوق شعبها في العيش الآمن على أرض فلسطين ، لذلك فهي تدافع عن وجودها وأمنياتها وأحلامها وآمالها في وطن خالٍ من العنف والاحتلال والاضطهاد .

وممَّا لا شك فيه أنَّ المرأة الفلسطينية عانت كثيراً من آثار السياسة القمعية للاحتلال الصهيوني ، وما جلبه ذلك من آثار نفسية مؤلمة ، جعلها تعيش حياة مليئة بالمصاعب والآلام والاضطراب ، وقد أشارت الكاتبة "سناء الشعلان" إلى ذلك في مواقف سردية متعددة ، ومن ذلك ما جاء في المجموعة القصصية (مقامات الاحتراق) لا سيما في قصة "الطفل الأعجوبة" التي تناولت فيها مأساة إحدى النساء الفلسطينيات وهي تكابد الوجع والألم بعدما قام الاحتلال الصهيوني بأبشع أنواع العنف تجاه أهلها وعائلتها وقريتها ، وأخذ جنود الاحتلال يطردونها ، حتى ابنها المعَّوق لم يسلم من بطشهم وعنفهم فتذكر القصة أنَّ طفلها : ((**وُلد أبيض من غير سوء ، مكتنز الأعضاء ، دون قدمين أو يدين ، وبوجه دائري متسع يكسوه استواء مخيف ، وتعلوه رتابة دائمة ، إذ لا أنف أو عينين أو فم أو أذنين له ، ولكنه طفلها العزيز الحبيب ، الذي نجت به بعد أن اجتاح العدو الصهيوني قريتها ، فشرَّد الأهل وقتل الزوج ، وحال دون الأبناء**))[٥].

وهنا صوَّر هذا المقطع القصصي مدى الأذى الذي لحق بالمرأة الفلسطينية بفعل الممارسات الصهيونية الظالمة ، التي جلبت للشعب الفلسطيني الدمار والموت وفراق الأهل والأحبة ، وقد وقعت هذه المرأة ضحية لتلك الممارسات والأعمال الوحشية ، فتذكر أحداث القصة أنَّ المرأة المضطهدة ، قد ((**نجت بجلدها وبطفلها الرضيع الأعجوبة ، الذي تعلمت أن لا تتركه ولو للحظة في سريره يداعب نوماً لذيذاً ، فقد يداهم العدو الصهيوني المكان في أي لحظة ، ويسلبها الحبيب هو الآخر**))[٦].
فالحدث القصصي قد ألقى الضوء على استهتار السلطة الصهيونية بأرواح الفلسطينيين ، والعبث بأمنهم ، ومطاردتهم وتشتيتهم ، وقتل أحلامهم وأمنياتهم ، وممَّا لا شك فيه هو أنَّ المرأة كانت تتحمل آثار ذلك ، فقد تعرَّضت للظلم والتعسَّف والمضايقات والتعنيف ، لا بل وصل الحال بها أنَّها قد تمت محاربة أحلامها وأمنياتها ورغبتها بالعيش الكريم مع أسرتها في مكان آمن ، إذ لم يبقَ لها من أهلها وأقربائها سوى الطفل المعوق، وقد عانت كثيراً في سبيل الحفاظ عليه من القتل المتعمد على يد جنود الاحتلال الصهيوني ، وقد أشار الراوي في ختام القصة إلى هواجس تلك المرأة المعذبة ، وآلامها ومعاناتها عبر إثارة سلسلة من التساؤلات ((**أ ليس من حق الأم بل من واجبها أن ترعى طفلها الرضيع؟! ليس في ذلك أي عجب ، إذن لماذا يطاردها أولئك الصغار الحمقى من شارع إلى آخر ،**

ويصرخون في وجهها قائلين : هذه هي المجنونة التي تحمل مخدة ليل نهار!!؟))[٧]. وبذلك رسمت الكاتبة صورة مؤلمة من الواقع الفلسطيني المفعم بالحزن والبؤس بفعل سياسة القمع التي تصدرت اهتمامات السلطات الصهيونية ، وكانت تُمارَس بطريقة وحشية هدفها إلغاء الشعب الفلسطيني بشتى الوسائل العدائية ، وقد عملت القاصة على كشف ((التصرفات الصهيونية بنقل الصورة العامة لهم ، حين يرى الآخر نفسه في مرتبة التفوق والتقدم العسكري لهذا يشرِّع لنفسه سياسة العنف))[٨]. ويعطي لها الحق بتبرير ما يقوم به من أعمال وحشية منافية لحقوق الإنسان . إلا أنَّ ذلك لاقى مقاومة كبيرة من أبناء الشعب الفلسطيني ، رغم قلة الإمكانات ، بفعل الهيمنة الصهيونية .

إمَّا في قصة (تقاسيم) الواردة في المجموعة القصصية الموسومة بـ" الذي سرق نجمة" ، فتروي الكاتبة صورة مؤلمة من صور معاناة الطفولة الفلسطينية في مخيمات النزوح خارج بلادها ، ولا سيما في مخيم (صبرا وشاتيلا) ، فالقصة في إحدى حكاياتها وهي (حكاية ٦) كشفت عن مدى التعسف والاضطهاد في تعامل الصهاينة مع الشعب الفلسطيني في محاولة لفرض الأمر الواقع ، وإذلال أبناء المجتمع الفلسطيني ، وتجويعه بهدف دفعهم إلى النزوح ، ومغادرة بلادهم ، من أجل تنفيذ سياساتهم التوسعية وابتلاع أرض فلسطين ، وبناء المستوطنات اليهودية فيها ، وضمها إلى خارطة الدولة الإسرائيلية المزعومة ، وقد عاش الأطفال الفلسطينيون حياة البؤس والشقاء شأنهم في ذلك شأن شرائح المجتمع الفلسطيني الأخرى ، لذلك شملهم العنف الصهيوني ، ومن ذلك ما جرى مع إحدى البنات الفلسطينيات ، ((**هم يعتقدون أنَّها أصغر من أن تخاف ، والصهاينة يريدونها أن تخاف وأن يخاف الجميع معها ، وشبكات التلفزة تبث بشكل مذابح مخيم صبرا وشاتيلا ، وهي تشاهد التفاصيل كاملة بفزع صامت))**[٩]. وبذلك فإنَّ المشروع الصهيوني كان واضحاً في معاقبة الشعب الفلسطيني بمختلف طبقاته الاجتماعية ، ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء والأطفال فالكل لا بد من ترويعه وإخافته وتعذيبه وتهجيره ، والمؤلم في ذلك انَّ الممارسات الصهيونية الدموية تُبث على شاشات التلفزة ، بهدف زرع الدمار والرعب في نفوس الشعب الفلسطيني ، متجاوزين بذلك القيم والمبادئ الإنسانية . والقوانين والأعراف الدولية ، لا سيما ما يتعلق بحقوق اللاجئين الذين لم يسلموا من آلة الدمار الإسرائيلية ، وتذكر الكاتبة ذلك بقولها : ((**ينتهي الاجتياح ، ويُوزَّع الموت مجانياً على فلسطيني مخيم صبرا**

وشاتيلا))[١٠]. لكن ما يمكن أن نعده مؤلماً ومثيراً للسخرية ، هو ابتعاد القنوات التلفزيونية عن الواقع المزري الذي يعيشه الشعب الفلسطيني ، وعدم اهتمامها بحجم المأساة التي يتعرض لها ، فتقوم ببث أفلام عربية عاطفية ، الهدف منها أشغال المشاهدين وتسليتهم ، وإبعادهم عن قضيتهم المركزية في الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني ، **((وتشرع قنوات التلفزة ببث أفلام عربية عاطفية تنتهي بقبل فموية مموطة ، وموسيقى رومانسية لا تعرف شيئاً عن عذابات الضحايا الفلسطينيين))**[١١]. إلا أنَّ هذا التوجيه الإعلامي عبر قنوت التلفزة ، لم يُنسِ الفتاة الفلسطينية مأساة وطنها ، وما تعرَّض له مخيم صبرا وشاتيلا ، إذ خيَّمت تلك الأجواء المؤلمة على تفكيرها ، ولم تستطع نسيان ذلك الواقع ، والتخلص من آثاره المؤلمة ، إذ ظلت ذكراه تطاردها ، فمشاهد الموت لم تغب عن خيالها ، **((وتظل أكفان صبرا وشاتيلا تطاردها ، تتخيل الموت يسكن ستائر البيت، فلا تنام ولا تدع أحداً ينام ، فيكون الحل الأسري المقترح لحالتها هو أن تصبح لاجئة عاطفية في بيت خالها حتى تنسى أكفان الموتى الملطخة بالبياض))**[١٢]. وهنا كشف المقطع القصصي عن مدى التأزم والاضطراب النفسي الذي مرت به تلك الفتاة الفلسطينية ، إذ لم تستطع التخلص من تبعات مشاهد الدمار والقتل التي رأتها في مخيم صبرا وشاتيلا ، وما نتج عن ذلك من تفاعلات مقلقة دفعت أسرتها إلى التفكير بمعالجة آثار ذلك وتخليصها من الآلام والأحزان التي تعيش في ظلها ، وهيمنت على حياتها ، ففكر أهلها بنقلها إلى بيت خالها ، لعلها تعيش واقعاً جديداً ينسيها مشاهد الموت التي لم تفارق مخيلتها ، فهي حاضرة في وجدانها وتلح على تفكيرها ، إلا أن ذلك لم يجدِ نفعاً ، ولم يُؤتِ أُكُله ، فبقيت أسيرة لتلك اللحظات المؤلمة التي أحدثت هزة في مشاعرها وتفكيرها ، حتى أصبحت نقطة فارقة في حياتها ، فقادتها نحو الألم والوجع ، فتذكر القصة **((يطول مقامها في بيت خالها ، ينسى الجميع الأكفان إلا ها ، تكتشف أنَّها تخاف الأكفان ؛ لأنَّها أجساد بلا وجوه وبلا ملامح ، تشرع تتخيَّل لها وجوهاً ، وتتخيل للوجوه حكايات ترويها لأترابها من أطفال الأسرة ، فيأنس الأطفال بما يسمعون ، وتكف الأكفان عن مطاردتها في اليقظة ، وتسكن أعماق أحلامها للأبد))**[١٣].

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني يخضع لمبدأ المهيمن الاحتلال الصهيوني والمهمش الشعب الفلسطيني ضمن أنساق ثقافية تبيح للمهيمن استخدام القوة والعنف في

بعض الأحيان ، فيدفع ذلك المهمش إلى الرضوخ أو التمرد والرفض ، أي ((إنَّ العلاقة بين المهيمن والمهمش تعتمد على مشاركة الهامشي في هذا النسق ، ومتوقفة على الصورة التي يقدم بها ذاته ، فهو إمَّا مسلِّم بالإقصاء المسلط عليه ، وإمَّا ساعٍ كمُقص إلى أن يعيد ذاته بما يضمن له فرض وجوده))[١٤]. لذلك اختارت المرأة بوصفها جزءاً من الشعب الفلسطيني المهمش طريق المقاومة لنيل الحقوق وردع هيمنة المحتل وغطرسته ، إذ ((ليس هناك من لغة ممكنة من قوى التسلط سوى لغة مماثلة للغتها لغة القوة ، لغة الغلبة))[١٥]. لذلك فإنَّ سياسة العنف والترهيب التي مارسها العدو الإسرائيلي ، قد ولَّدت شعوراً لدى الفلسطينيين بضرورة مواجهة العنف بالعنف ، بعد أن يئسوا من أي محاولة للسلام وتحقيق العدالة والاستقلال والحرية ، ومن أبرز وسائل الدفاع التي لجأ إليها الفلسطينيون العمليات الجهادية عبر ارتداء الحزام الناسف وتفجير النفس في جموع الإسرائيليين ، ولم يقتصر ذلك على الرجال فحسب ، وإنَّما شاركت المرأة في العمل الجهادي ولبست الأحزمة الناسفة ، وفجَّرت نفسها رداً على جرائم السلطة الصهيونية ، وقد رصدت الكاتبة "سناء الشعلان" في إبداعها السردي صوراً متعددة من انتقام النساء الفلسطينيات ، وتحديهنَّ للقمع الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني ، وقد سجلت قصة "سلالة النور" جانباً من ذلك ، إذ تروي ما جرى مع أحد الشباب الفلسطينيين الذي كان ينتمي إلى عائلة دينية اهتم أفرادها كثيراً بالعلوم الدينية ، وقد سار على نهجهم ، وكان همه الوحيد الذهاب إلى مصر ، من أجل إكمال دراسته الدينية في الأزهر الشريف ، ليزداد علماً وفقهاً ، بهدف خدمة أبناء شعبه فتذكر القصة أنَّ أباه ((**وجده ورجال أسرته جابوا بقاع الوطن الفلسطيني ، وحملوا لواء الدين والاحسان والخير والبناء ، وهذه البذرة الصالحة تنمو في أعماقه منذ وُلِدِ ، فمنذ صغره هو مفطور على الصلاة والصوم والعبادة والبر والاحسان ، وقد حفظ القرآن الكريم كاملاً منذ طفولته ، وكثيراً ما صلى بالجماعة إماماً في صلاة الفجر ، برامج حياته كافة مكيَّفة وفق هدف واحد ، وهو الذهاب إلى الأزهر لاستكمال علومه الإسلامية ، حتى زهر خطيبته اختارها وفق هذا البرنامج ، فقد كانت صالحة عابدة مثله ، تحفظ الكثير من أجزاء القرآن ، وتتوق مثله إلى دراسة العلوم الإسلامية في الأزهر الشريف**))[١٦]. وهنا اتفقت أهواء الشاب الفلسطيني وأحلامه وطموحاته مع حبيبته (زهر) لا سيما في الجانب الثقافي والعقائدي ، فكل منهما قد خضع لمؤثرات بيئية وفكرية واحدة ، أسهمت كثيراً في انسجامهما وتوسيع دائرة التفاهم بينهما ، وهذا الأمر

سهَّل عملية إكمال مشروعهما سواء في الحياة عبر الزواج ، أو في إتمام مشوارهما الدراسي ، وتحصيل العلوم الدينية لذلك : ((**كان عليه أن يحزم نفسه وكتبه ، ويسافر إلى القاهرة بصحبة خطيبته بعد أن يتزوجها كي ينخرطا في دراسة العلوم الإسلامية بعد أن حصَّل لها قبولاً في الجامعة**))[١٧]. لكن هذا التفاؤل لم يدم طويلاً ، فقد اصطدم الشاب وخطيبته بعوائق كثيرة كانت عائقاً أمام تحقيق طموحاتهما ، وممارسة حياتهما بصورة طبيعية كما يبغيان ، فالسلطة الإسرائيلية الظالمة زرعت الأشواك في طريق الشعب الفلسطيني ، ووزعت الموت في الطرقات من أجل أن تتحول الحياة إلى جحيم في بلاد فلسطين ، فيذكر الراوي ((**ولكن الجدار العازل الذي وُلد من رحم شيطاني وقف حاجزاً أمامهما ، ومنعهما من السفر خارج مدينته القديمة ، وحطَّم أحلامهما ، وغيَّر مشاريع حياتهما إلى الأبد**))[١٨]. لذلك فإنَّ الإنسان ((يثور دائماً ويغضب ممَّا يعوق أعماله ، أو يتدخل في حقوقه ، أو يصطدم بمبادئه ومعتقداته واحترامه لذاته ، بل يغضب من كل شخص أو موقف يشعره بالتحكم والضغط والحرمان))[١٩]. الأمر الذي دفع الشاب الفلسطيني إلى التفكير بالانتقام واتباع أساليب العنف ، بعد أن ماتت أحلامه وطموحاته على يد السلطة الإسرائيلية الغاشمة ، فأخذ مسدساً وقنابل وقرَّر الوصول إلى المعهد الديني اليهودي ، والدخول إلى قاعة التدريس ، من أجل أن يرسلهم إلى الجحيم ((**بخطوات نافرة بخفة على الأرض كرذاذ على ماء وصل إلى القاعة الرئيسية وبسرعة خاطفة شرع ينثر الموت على الجميع بقنابله وبمسدسه ، لم يدركه الحرس برصاصهم إلا وكان قد أرسل الجميع إلى جحيم الموت ، ثم استسلم إلى جنته الخضراء الموعودة ، وحلّق بأجنحة من نور نحو البعيد ، وترك جثته لهم يركلونها بأقدامهم ، ويمثلون بها ويسجنوها أياماً في حافظة مبردة قبل أن يسمحوا بدفنها على عجل في جنح الليل وكأنها فعل محظور البوح به**))[٢٠]. وهذا الفعل الذي قام به الشاب الفلسطيني ترك أثراً عميقاً في نفس خطيبته لا سيما في قضية الموت ، وفهم المغزى الحقيقي من العمليات الانتحارية ، حينما يتعلق الأمر بمعاناة الوطن ومصيره وطموحات أبنائه ، فحياة ما بعد الموت تكون خالدة وليس فناء الجسد ، ويمكن أن تتحقق فيها الأمنيات التي لم تتحقق في عالم الدنيا ، وهو ما عبَّرت عنه أحداث القصة ، فالشاب الذي اختار الموت ((**لم يُزَف إلى عروسه ، ولم تُزَف إليه ، وبقيت في ثوبها الأبيض تنتظره طويلاً دون أن تصدِّق أنَّه لن يبر بوعده لها ، ولن يتزوجها ، بل ولن يعود إليها أبداً ، فليس من عادته أن لا يبر بوعد قطعه على نفسه ، ولكن يبدو**

أنه لن يستطيع أن يبرَّ بوعده لأول مرة في حياته ، كذلك لن يستطيع أن يعود إليها ، لذلك عليها أن تذهب هي إليه ، وإن كان هو من سلالة العلماء الأبرار ، فهي من سلالة الشهداء الطاهرين))[٢١]. وأمام ما حدث لخطيبها ، وما قام به من عمل عظيم، وهو التضحية بالنفس من أجل أن أيحيا وطنه ، فقد حفَّز ذلك العروس المنتظرة المفجوعة باستشهاد عريسها إلى السير على نهجه واللحاق به، وهناك يقيمان طقوس الزواج لذلك ابتعدت عن اليأس والتشاؤم ، وتشبعت بالأمل والتفاؤل، رغبة في لقاء خطيبها ، بعد أن تذيق العدو الصهيوني مرارة الموت ، وتعمل على إذلاله وترويعه ، مثلما يفعل بالشعب الفلسطيني ، فبدت مؤمنة بقضيتها وأحلامها ((**خلعت ثوبها الأبيض إلى ميقات ، وعندما حان الوقت المنتظر ، استحمَّت ، وتمشَّطت ، وتعطَّرت ، وتزيَّنت ، وتحزَّمت بحزام ناسف ، ويمَّمت نحو الجدار الفاصل الذي أخذ منها كل من تحب ، أُمرت بالوقوف على عتبة بوابته ، لكنها لم تفعل ، وفي اللحظة المناسبة ، تحوَّلت إلى جمرة نار تكوي كل من حولها من جنود صهاينة ، وتهزأ من الجدار الذي انهارت أجزاء منه من شظايا حزامها الناسف ، وحمل على أكتافه مكرهاً طرحة عرسها ملوحة بالأفق لروحها التي تحجل في دربها نحو السماء لتلحق بسلالتها النورانية الطاهرة**))[٢٢]. وهنا قامت المرأة الفلسطينية المضطهدة بعمل جهادي كبير ، حطمت من خلاله جبروت السلطة الإسرائيلية الغاشمة ، وسياساته الظالمة ، فقدمت نفسها في سبيل أن تستمر الحياة في بلاد فلسطين ، وألا يعيش العشاق معاناتها مع حبيبها ، وألا تعاد تجربتها مرة أخرى ، لذلك وجَّهت نار غضبها نحو الجدار الفاصل الذي أقامه الاحتلال الإسرائيلي ، فهو من كان السبب في عدم إتمام زواجها من خطيبها ، وبذلك فإنَّ ((الذات تجنح إلى العنف عندما تشعر بالخطر ، حيث يصبح لا مفر من الموت إلا المجابهة بالموت))[٢٣]. وعندئذٍ يهب الإنسان الميت الحياة لغيره ، ليعيش حياة كريمة ، فالمستقبل الواعد لا يتحقق إلا بالتضحيات الكبيرة .

وبذلك فإنَّ ما قام به الشاب والمرأة الفلسطينيان يمكن أن يدخل في باب العنف العقلاني الرشيد ، الذي عده بعض المتخصصين بأنَّه أكثر أنماط العنف فاعلية ونضجاً ؛ لأنَّه يمتلك رؤية واضحة على مستوى الأهداف والوسائل ، وعادة ما يكون المشتركون في هذا النوع من العنف على وعي كامل بالهدف المنشود ، وقد يكونون على مستوى ثقافي أفضل ، ودرجة أعلى من الوعي السياسي . وهناك

أسباب اجتماعية تجعل الإنسان يندفع نحو العنف العقلاني ، وتتمثل في عدم وجود اتساق في البناء الاجتماعي ، أو عدم فاعلية السلطة السياسية على المستوى الداخلي أو الخارجي[٢٤]. لا سيما إذا كانت السلطة بيد المحتل ، وهو من يتحكَّم بمصير شعب بأكمله .

المبحث الثاني / المرأة الإسرائيلية بوصفها وسيلة لممارسة العنف :

لم يقتصر العنف والعداء على المرأة الفلسطينية فحسب ، بل شمل المرأة الإسرائيلية أيضاً ، إذ مارس الصهاينة سياسة سحق المشاعر ، وكبت العواطف مع النساء الإسرائيليات ، وحملهن على سحق أحلامهن وأمنياتهن ، وتسخيرهن لتحقيق أهداف استعمارية توسعية على حساب الشعب الفلسطيني ، الذي لا بد من سحقه وتهجيره ، لذلك لا مجال للاختلاط بين الفلسطينيين والصهاينة ، ولا مكان للحب والمشاعر والأحاسيس بين الرجال والنساء في كلا الشعبين ، وهذا يعد نوعاً من الإرهاب والتعسف وكبت الحريات . وبناء على ذلك شخَّصت الكاتبة "سناء الشعلان" في إحدى مجموعاتها القصصية ، مدى العنف الذي مورس ضد المرأة الإسرائيلية ، ومنعها من إقامة علاقة حب مع أحد الشباب الفلسطينيين ، حتى وصل الأمر إلى قتله ظلماً وعدواناً ، ففي مجموعة (حدث ذات جدار) في قصة (شمس ومطر على جدار واحد) تتحدث القصة عن امرأة إسرائيلية مرَّت بظروف صعبة في هنغاريا ، إذ فشلت في إقامة علاقة غرامية مع أحد الشباب البلجيكيين ، إذ لم يكن وفياً معها ، وعادت إلى بلادها ، فعملت مجندة في الجيش الصهيوني ، وقد قادها عملها العسكري على الأبواب إلى تكوين علاقة حب مع شاب فلسطيني ، تذكر القصة أنَّها ((**جاءت إلى هنا طلباً لفرصة جديدة في الحياة ، فلم تجد إلا القهر والخوف والعمل المضني ليل نهار ، في هنغاريا درست رقص الباليه الذي تحبه ، ويليق بجسدها المرمري الذي يخب خباً كحصان أسطوري مجنح بأردية من سحر ليجيد الرقص بين السحاب ، ما كانت تتخيل أبداً أن تقودها الظروف والخيبات المتتابعة والوحدة والفشل المستمر والخوف من العودة إلى هنغاريا لتتطوَّع لتكون مجندة في الجيش الصهيوني لتقف على الأبواب**))[٢٥]. فالظروف القاهرة التي عاشتها تلك المرأة الإسرائيلية في هنغاريا ، وفشلها في ممارسة حياتها بصورة طبيعية ، جعلها ترضى أن تكون مجندة في الجيش الإسرائيلي ، وتمارس سياسة الترويع بحق أبناء الشعب الفلسطيني ، امتثالاً لأوامر السلطات الصهيونية حتى وإن

كان ذلك يتعارض مع أخلاقها ونهجها في الحياة ، لذلك أذعنت لتوجُّهات السلطة العدائية ، فكانت **((تعد أنفاس الفلسطينيين وتبادلهم كرهاً بكره دون أن تعرف مسوغاً مقبولاً لذلك سوى موجبات عملها الكريه ، ثم تعود إلى بيتها مساء محطمة ، وتنزف نفسها تقيؤاً وهي تسب وجهها الجميل الذي يرضى بأن يعانق هذا القبح كله صباحاً مساء على تلك البوابة اللعينة في الجدار العازل))**[٢٦]. وهنا يكشف المقطع القصصي عن مدى الاضطهاد الصهيوني ودوره في تغيير طباع الناس ، والعبث بفطرتهم السليمة ، خدمة لأغراض عدائية هدفها إقصاء الشعب الفلسطيني من الحياة بمختلف الوسائل ، لذلك عانت المجندة من تأثيرات السياسة القمعية التي تمارسها السلطة الصهيونية وإجبارها على سحق مشاعرها وعواطفها وخلع ثوبها الإنساني ، ولبس ثوب العداء والعنف ، فكان ذلك يؤلمها ، وأخذ يؤرقها كثيراً حتى أصبح باعثاً من بواعث القلق النفسي ، لذلك **((أُخضِعت لدورات تدريبية مكثفة لتقبل بفكرة أنَّ هذا الجدار يحمي شعبها الصهيوني الذي تنكر في سحيق أعماقها انتسابها له ، وتقنع نفسها ظاهرياً بأنَّها تقف على هذه البوابة لتخدم أمتها ، ولتقمع أولئك المتوحشين من الفلسطينيين الذي ينخرون في أمن كيانهم الرابض على هذه الأرض التي تشعر بأنَّها غريبة عنها ، ولا تنتمي إليها بأي شكل من الأشكال ، ولكنها على الرغم من ذلك لا تزال تشعر بالقرف من نفسها كلما وقفت ببزتها العسكرية تفتش الأجساد العابرة من بوابتها ، وتشم جبراً رائحة الكره والضغينة والتحدي في العيون الفلسطينية المتحفزة لغضب قابل للاندلاع في أي لحظة))**[٢٧]. وهذه الدورات التي أُدخِلت فيها تلك المرأة المجندة ، تدل على مدى العنف الصهيوني ، في تحقيق أهداف سياسية تخدم مصالح الكيان الصهيوني ، لذلك قام بتوجيه مؤسساته العسكرية والإعلامية على صناعة وعي ثقافي موجَّه ضد الشعب الفلسطيني ، بهدف محاصرته وقتله وتشريد أبنائه بمختلف الوسائل ، ومن هنا كانت ترى تلك المرأة المجندة في عملها لا يتناسب مع إنسانيتها ، فوقوفها في بوابة التفتيش يمثل نوعاً من القهر والكبت والعداء لمشاعرها الإنسانية ، إذ **((كل شيء في هذه البوابة يشعرها بأنها في جهنم ، فهي بوابة متوحشة تفصل بين عالمين مشتعلين وهي حارسة عليها دون معنى لوجودها هنا بعيداً عن عاصمة الثلج حيث وُلِدت))**[٢٨]. فعلى الرغم من كل المحاولات التي قامت بها السلطة الصهيونية في تغيير قناعات تلك المرأة ، وحرف مسار تفكيرها ورؤيتها للشعب الفلسطيني ، إلا أنهَّا لم تتجرد كلياً من مشاعرها وأحاسيسها وعواطفها ، ولم تنخرط في المشروع التوسعي الذي تعمل على

تحقيقه المؤسسة الحاكمة في إسرائيل ، إذ لم تفلح محاولاتها في حمل المرأة المجندة على عداء الشعب الفلسطيني عبر إبعاد المشاعر في تعاملها معه وممارسة القوة وحدها ، وما تتطلبه من عنف وتهميش، إلا أن في ظل تلك الأجواء العدائية الساخنة قد علا صوت الحب ، ليمزق قبح السياسة وسواد السلطة الإسرائيلية ، وسياساتها الإجرامية ، فـ ((**وحده ذلك الشاب الفلسطيني هو من يشعرها بدفء مكلَّل بالمطر كلما مرَّ بالقرب منها ، لا تشم فيه رائحة حقد أو كره أو تحفّز لإيذائها ، ترى في عينه غزلاً نادراً لا يجيده إلا من يملك روحاً مثل روحه التي تقدر على أن تغلي عاطفة وحنواً حتى في ليلة ماطرة**))[٢٩]. وهنا كان للحب دور في تغيير منهج العداء والبغضاء بين الناس ، والحد من انتشاره وتمدده ، فالمرأة المجندة رغم مسؤوليتها الأمنية ، فقد انتصرت لقيم الحب والإنسانية ، إذ عمل الشاب الفلسطيني على إحياء مشاعرها وأحاسيسها ، فقد ((**أصبحت الحياة أجمل بوجوده ، مرة تعمَّدت أن تفتشه بيديها العاشقتين ، فاحترقت برعشة الاشتهاء ، ولوعة الشوق وهي تتلمس هضاب جسده وسهوله بضراعة من يتبرك بعباءة ولي صالح ، مسَّدت أكثر من مرَّة على عضلات صدره ، وكادت تلمس خفقات قلبه الذي فضح صمته ، وقال لها قهر تكتمه: أحبك**))[٣٠]. فالمشهد القصصي يشير إلى غياب مشاهد الرعب والدماء ، وحل محلها الحب الدافئ ، والمشاعر المفعمة بالرغبة الجسدية ، إذ إنَّ حضور الجسد يوحي بالتقارب على حساب التمييز العنصري الذي يمارسه الصهاينة ، إلا أنَّ هذا المشهد الإنساني لم يدم طويلاً ، فآلة الموت الإسرائيلية لم يرق لها رؤية صور الحب التي تخالف توجهات السلطة الصهيونية وسياساتها العدائية تجاه الشعب الفلسطيني ، فتذكر القصة ((**عندما وصلت إلى البوابة كان المكان يضطرب بالجنود والصخب والكلمات المتطايرة ، التي تشير إلى مشكلة ما ، ومن خلف جموع الجنود كانت تبزغ أجساد مسجاة على الأرض وكلاب بوليسية شرسة تنهشها ، زملائها الجنود قالوا لها إنَّهم عمال فلسطينيون مخربون ، اقتربت منهم بوجل ، فهي تدرك معنى مخرب المزعومة التي يتخذها جنودهم ذريعة لممارسة موهبتهم في القتل والتنكيل بالبشر ، وجه ذلك الأسمر المدرَّج بالدم والزبد وابتسامة هازئة بكل جبروت أول ما صفع وجهها ، وأشعرها بالصقيع اللافح المغروز في العظام والقلب ، تكومت إلى جانبه دون أن تجرؤ على أن تدفن رأسه في حضنها ولو لمرة واحدة في حياتها**))[٣١]. وبذلك مالت كفَّة الدم والقتل على حساب الحب والجمال ، وتم وأد محاولة العشق التي لا تتوافق مع ميول السلطة الإسرائيلية فانتصر منطق الدمار

والرعب ، المتمثل باستباحة دماء العمال الفلسطينيين الأبرياء ، الذين لا ذنب لهم سوى حبهم لوطنهم ، ورغبتهم بالعيش الآمن في حياة حرة كريمة بعيداً عن العنف والدماء ، إلا أنَّ السلطات الصهيونية استخدمت حيلاً وأساليب عدائية كثيرة في سبيل تبرير قتلهم ، فوصفتهم بالمخربين لتجيز تمرير سياستها الخبيثة في ابتلاع أرض فلسطين ، وضمها إلى أرضها التي اغتصبتها من خارطة الوطن الفلسطيني ، لذلك أزعجها ما قامت به المرأة المجندة ، فبادر جنود الاحتلال إلى قتل العمال الفلسطينيين . وقد آلمها ذلك كثيراً ؛ لأنَّها فقدت حبيبها الفلسطيني ، فهاجت مشاعرها الحزينة ، واضطرمت النار في أحشائها ففقدت توازنها ، وغلب عليها الشعور بالانكسار والضعف ، وانتابها إحساس عميق بقبح النهج الإجرامي الذي تتبعه السلطة الإسرائيلية الحاكمة آنذاك ، ((**كانت مغمورة بظل الجدار العازل حيث العفونة والظلام والكآبة والظلم ، وكانت العودة إلى هنغاريا دون رجعة إلى هذا المكان هي الفكرة الوحيدة التي تملك عليها ذاتها ، وتلح عليها قبل أن يقتلها الجدار كما قتل الرجل الذي عشقته**))[٣٢].

وقد مارس الاحتلال الصهيوني أساليب خبيثة لإيذاء الشعب الفلسطيني ، وإجبار أبنائه على الرحيل ، ولم يقتصر في عدائه على الوسائل العسكرية ، بل مارس العداء والاضطهاد بحق أبناء الشعب الفلسطيني عبر وسائل مدنية ، بما ينم عن سياسة القمع التي تنتهجها السلطة الإسرائيلية ، وقد سخَّر المرأة الإسرائيلية للقيام بمهمة إيذاء الفلسطينيين ، وحملهم على مغادرة مساكنهم . وهو نوع ثانٍ من الاحتلال ، يأتي مكملاً للاحتلال العسكري . ففي مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) ، وفي قصة (نبتة عطرية) نجد ملامح واضحة للمخططات الإسرائيلية ، عبر سلب بيوت الفلسطينيين ، وإعطائها للمستوطنين الصهاينة ، إذ تتحدث القصة عن امرأة إسرائيلية جاء بها المحتل الصهيوني من عائلتها ، وأسكنها في الطابق الثاني من بيت إحدى العوائل الفلسطينية ، وتم تثقيفها على عداء تلك العائلة وإيذائها لتترك البيت وتهاجر ، لكن تلك المرأة الصهيونية لم تستجب لثقافة العداء والتهجير والموت ، التي أنتجتها السلطة الحاكمة في إسرائيل ، عبر مؤسساتها الإعلامية والثقافية والدينية المختلفة ، فقد ((**كان من المفروض أن تمارس كل ما يتفتق ذهنها عنه من شرور وإيذاء لتزعج العائلة المقدسية التي تسكن الطابق التحتي ، وتجبرها على الرحيل ، ولكنها كانت تعجز عن ذلك**

بسبب طبيعتها النفسية الخيرة التي يكرهها زوجها وأهله فيحثونها دون انقطاع على أن تتخلى عن شمائلها الطيبة لصالح مطامعهم وولائهم لكيانهم الصهيوني))[٣٣]. لكنها لم تستلم للواقع الذي تحاول السلطة الصهيونية وعائلتها فرضه عليها ، وإجبارها على القيام بأعمال عدائية لا تمت إلى الإنسانية بصلة ، ولم تستجب للأصوات التي تريد إشاعة الرعب والعنف في فلسطين ، وقد استمعت لصوت المحبة ، رغم سواد الصورة ، وقبح المشهد الذي أُجبرت على أن تعيش في أجوائه ، فانتفضت على ذلك الواقع المشحون بالبغض والظلم والتهميش ، **((وضعت يديها على حوض نبتة عطرية لصاحبة البيت ضمن ما سطت عليه من أثاث وملابس في الطابق الثاني من البيت المقدس المغتال ، أحبَّت هذه النبتة العطرية التي لها رائحة فواحة طيبة حنونة ، لكن النبتة في ذبولٍ مستمرٍ منذ أن استولت عليها))**[٣٤]. فالنبتة ذات العطر الفوَّاح الطيب الحنون تشكل جزءاً أساسياً من أحداث القصة ومحوراً من محاور الصراع مع العدو الإسرائيلي ، فهي تشير إلى السلام والحب ، وتوحي إلى مدى عشق الشعب الفلسطيني للحياة الحرة الكريمة ، بعيداً عن أصوات المدافع ، وأزيز الطائرات ، فهي سلاحهم في مواجهة قبح القتل والانفجارات والتهجير ، لذلك فإنَّ النبتة برمزيتها ودلالاتها الإيحائية ، قد أظهرت مدى رفض الشعب الفلسطيني للاحتلال وممارساته القمعية ، وما ذبولها بعد أن استولت عليها العائلة الإسرائيلية إلا دليل على عدم قدرة الشعب الفلسطيني على القبول بالاحتلال والتعايش معه ، ومدى التصاقهم بأرضهم ، وعشقهم لها ، لذلك فإنَّ المرأة الإسرائيلية **((خمنت أنَّ النبات يحب أهله ، وأنَّ هذه النبتة تفتقد صاحبة البيت المقدسية التي زرعتها واعتنت بها ، زمت الحوض الصغير ، وهبطت به أدراج البيت ، فألفت المرأة المقدسية في فسحة الحديقة الصغيرة تضفر شعر إحدى بناتها ، وضعت حوض النبتة العطرية أمامها ، وقالت لها بلهجة فلسطينية تكاد تتقنها : هذه النبتة تريدكِ . ردت المرأة المقدسية دون أن تلتفت إليها هذا طبيعي ، فالشجر يعرف أهله ويرفض الغرباء))**[٣٥]. وبذلك كانت النبتة العطرية قد أرسلت رسال إيحائية مفادها أنَّ لا مكان للغرباء في أرض فلسطين ، وأنَّها بأبنائها وبناتها وشجرها ومياهها ورمالها وبيوتها ، تتفق على رفض الاحتلال الصهيوني ، وقد أحست المرأة الإسرائيلية بأثر تلك الرسالة التي قرأتها عبر مشهد النبتة ، واستوعبت الدرس جيداً ، لذلك تعاملت برفق ولين مع المرأة الفلسطينية صاحبة البيت المقدسي ، وشعرت بعدالة القضية الفلسطينية ، ومدى دناءة السياسة الإسرائيلية في قمع الشعب الفلسطيني .

وفي ذات المجموعة القصصية وهي مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) ، وفي قصة (رجل) ، كانت المرأة الإسرائيلية وسيلة من وسائل القمع والتعذيب التي مارسها الاحتلال الصهيوني ، وقد تم استغلال جسدها في عملية الصراع مع أبناء الشعب الفلسطيني ، إذ تكشف القصة عن مدى دناءة السلطة الصهيونية ، وبشاعتها ، وقذارة الأساليب غير الأخلاقية التي توظفها في مؤسساتها الأمنية والعسكرية ، فما يهم السلطة هو تحقيق مشروعها الاستعماري في أرض فلسطين ، مهما كانت الوسيلة المتبعة في ذلك ، فتذكر القصة وصفاً دقيقاً لعمل المرأة الإسرائيلية بطلة القصة ، وممارساتها القبيحة، إذ ((**علَّمها العمل العسكري في الجيش الصهيوني أن تكون عاهرة بدرجة عسكرية ، فليس لها إلا أن تقبل بمضاجعة كل مسؤول عسكري يستهويه جسدها الممشوق وشعرها الأحمر الطويل السائب، ومع مرور الوقت اعتادت أن تبيع جسدها لكل من يدفع ثمنه امتيازات وهدايا وحفلات ورحل وترقيات في العمل من منطلق أنَّ جسدها أفضل سلعة تستطيع المتاجرة بها**))[٣٦]. وقد التفت الصهاينة لتلك المرأة ، وتم تسخيرها لتحقيق أغراض سياسية دنيئة ، والإفادة منها في إشاعة الرذيلة بين المعتقلين الفلسطينيين بهدف تعذيبهم ، ونقل مرض الإيدز إلى أجسامهم بعدما ثبت إصابتها به ، إذ إنَّ ((**سعارها الجنسي وروحها الرخيصة ، وإصابتها بمرض الإيدز جعلت قائد المعتقل الصهيوني ينفر من جسدها ، ويهجره دون عودة ، وينتدبها لتعذيب الأسرى الفلسطينيين بأعتى طرق التعذيب الجنسي ، وعندما تمل من تعذيبهم تحقنهم ببعض دمائها المعلول لتنقل لهم مرضها لتحمَّلهم عار المرض أمام الأهل والوطن قبل الموت بعذاب طويل**))[٣٧]. وهنا كانت المرأة أداة من أدوات المشروع الإسرائيلي الإجرامي ، إذ لم يترك الصهاينة وسيلة دنيئة إلا ووظفوها في سبيل قمع الشعب الفلسطيني وإيذائه ، ومن ذلك نقل العدوى بمرض الإيدز إليهم ، لكي يعيشوا معذبين في ظل البؤس والعذاب والألم في مجتمعهم . إلاَّ أنَّ تلك المحاولات الخبيئة لم تحقق أهدافها في إذلال أبناء الشعب الفلسطيني، ((**لكن ذلك الأسير الفلسطيني المتدين ذا الوجه الملائكي البشوش لم يستسلم لها ، وظل ينعتها بالعاهرة القبيحة ، ورفض جسدها الرخيص المهدور أمامه ، ولم يتأوه للحظة في تعذيبها الجنسي له كي لا تقرّ نفساً بعذابه ، ولا تشعر بانتصار بطشها على جسده ، لقد ظل صامداً أمامها مثل جدار صلد أصم ، فتَّتت عضوه الذكري بضربات الصاعق الكهربائي ، لكنها لم تسمع منه استجداء لرحمته ، زادت من ضربات الكهرباء كي تنتزع توسلاته ، فانتزعت روحه**))[٣٨].

وهنا شهد المقطع القصصي صراعاً مريراً بين البطش الصهيوني الذي قامت به المرأة الإسرائيلية ، وبين المقاومة الفلسطينية التي تجلت في صبر ذلك الأسير الفلسطيني وجلده ، وإيمانه العميق بقضيته الكبرى ، ويقينه التام بأهمية المقاومة ومواجهة التعذيب والقمع مهما كانت الوسيلة المستخدمة في ذلك، فكان ذلك يمثل صراعاً بين ثنائيات مختلفة ، منها الخير والشر ، والصبر والقسوة ، والفضيلة والرذيلة ، والحق والباطل ، والإيمان والكفر ... إلخ . إذ مثَّل الجانب الصهيوني الطرف السلبي في تلك الثنائيات التي وردت في النص ، وكان أبناء الشعب الفلسطيني يمثلون الطرف الإيجابي في الجانب الآخر من الثنائيات الضدية ، إذ جسَّد الأسير الفلسطيني المعذب أروع صور الثبات والتحمل والصلابة في مواجهة العنف الجسدي الذي تعرَّض له ، وترك ملذات الدنيا ، وأمال بوجهه عن متعها، فلم يأبه بمتعة الجسد الأنثوي المتمثل بجسد المرأة الإسرائيلية ، وبقى صامداً إلى أن فارق الحياة وهو شامخ ، لذلك قهرها ذلك كثيراً وجعلها تئن من صبره وثباته ، ورفضه لجسدها ، إذ ((**أغاضها أن يهرب إلى الأبد من بطشها وانتقامها ، لقد هرب من جسدها الذي حقَّره ، ونفر من رائحة صنانه ، بكت قهراً من صده لها ، سألتها الجندية الصهيونية شريكتها في تعذيبه عن سبب بكائها . أجابتها بيأس لقد رفضني ، هو الرجل الوحيد الذي رفض جسدي ، هو الرجل الحقيقي الذي قابلته في هذه الحياة ، ولذلك قتلته**))[٣٩]. وهنا أثبتت القصة أنَّ المبادئ والقيم أهم من ملذات الدنيا ، فيهون كل شيء من أجل الوطن والقيم الأخلاقية ، وعندئذٍ تتعطَّل رغبات الجسد وملذاته ، فينحصر الهم والجهد في كيفية تحرير الأرض المغتصبة من سطوة الاحتلال .

الخاتمة :

وممَّا سبق ذكره يتَّضح لنا أنَّ الكاتبة سناء الشعلان عملت في مواضع كثيرة من منجزها القصصي على تصوير معاناة أبناء الشعب الفلسطيني ولا سيما النساء اللاتي وقع عليهن الأذى الأكبر ، وقد أخذ ذلك مساحة كبيرة من اهتماماتها ، فعمدت إلى كشف جوانب مختلفة من المحن التي واجهت المرأة الفلسطينية ، وما تركته من آثار مؤلمة ، بفعل السياسة العدائية التي يتبعها العدو الإسرائيلي مع أبناء الشعب الفلسطيني ، وقد اشتملت على ممارسة مختلف أساليب العنف والقمع ، فأوردت الكاتبة جانباً من آلامها وأحزانها ، ومقاومتها وصبرها ، وأحلامها وتطلعاتها . فضلاً عن ذلك

فإنَّ رغبة الكاتبة لم تقف عند هذا الحد ، بل عملت على إبراز جانب من صورة المرأة الإسرائيلية ضمن مشاهد العنف ، لا سيما المرأة التي تم توظيفها في خدمة المشروع الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني ، إذ لم تسلم من الأهداف الشريرة التي سعى إلى تحقيقها المحتل الصهيوني .

الهوامش :

١- ينظر : لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي ، صحَّحهُ : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي : مادة (عنف) .

٢- علم نفس الإرهاب ، د. محمود عبد الله محمد خوالده : ٤٤ .

٣- ينظر : صورة الآخر في قصص سناء الشعلان ، دراسات تحليلية، سناء جبار العبودي : ٢٣٣ .

٤- م.ن : ٢٢٢ .

٥- مقامات الاحتراق ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان : ٩٢ .

٦- م.ن : ٩٢ .

٧- م.ن : ٩٢ .

٨- صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية : ٢٣٨ .

٩- الذي سرق نجمة ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان : ١٠٤ .

١٠- م.ن : ١٠٤ .

١١- م.ن : ١٠٤ .

١٢- م.ن : ١٠٤ .

١٣- م.ن : ١٠٤ .

١٤- التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة ، رؤية تحليلية من منظور بنيوي ، عمر الزعفوري ، بحث : ١٨٥ .

١٥- التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي : ٥٥ .

١٦- حدث ذات جدار ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان : ٦٧ .

١٧- م.ن : ٦٧ .

١٨- م.ن : ٦٧ - ٦٨ .

١٩- أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح : ٨٢ .

٢٠- حدث ذات جدار : ٦٩ .

٢١- م.ن : ٦٩ .

٢٢- م.ن : ٦٩ - ٧٠ .

٢٣- التوحش ، آليات الرفض والتمرد في الموروث الشعري ، جبريل السبعي : ١٠٨ .

٢٤- ينظر : علم نفس الإرهاب : ٦٢ .

٢٥- حدث ذات جدار : ٣٥ - ٣٦ .

٢٦- م.ن : ٣٦ .

٢٧- م.ن : ٣٦ .

٢٨- م.ن : ٣٦ .

٢٩- م.ن : ٣٦ - ٣٧ .

٣٠- م.ن : ٣٧ .

٣١- م.ن : ٣٩ .

٣٢- م.ن : ٣٩ .

٣٣- تقاسيم الفلسطيني ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان : ١٤٩ .

٣٤- م.ن : ١٤٩ .

٣٥- م.ن : ١٥٠ .

٣٦- م.ن : ١٤٣ .

٣٧- م.ن : ١٤٣ - ١٤٤ .

٣٨- م.ن : ١٤٤ .

٣٩- م.ن : ١٤٤ .

المصادر والمراجع :

١- أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٨م .

٢- الذي سرق نجمة ، مجموعة قصصية ، د. سناء الشعلان ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م .

٣- تقاسيم الفلسطيني ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهامشية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٥م .

٤- التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي ، (د.ط) ، (د.ت) .

٥- التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة ، رؤية تحليلية من منظور بنيوي ، عمر الزعفوري ، مجلة عالم الفكر ، عدد٤ ، مجلد٣٦ ، ٢٠٠٨م .

٦- التوحش ، آليات الرفض والتمرد في الموروث الشعري ، جبريل السبعي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠١٦م .

٧- حدث ذات جدار ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م .

٨- صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية ، سناء جبار العبودي ، أمل الجديدة ، سورية – دمشق ، ط١ ، ٢٠١٨م .

٩- علم نفس الإرهاب ، د. محمود عبد الله محمد خوالده ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

١٠- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي ، صحَحهُ : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان – بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

١١- مقامات الاحتراق ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، ط١ ، ٢٠٠٦م .